

# مكانة التربية في سوسيولوجية دوركايم . دراسة إبستمولوجية تحليلية . *Durkheim's Perspective on the Sociology of Education: An Epistemological Study*

خاله أودينة ، جامعة 20 أوث سكيكدة  
oudinakh@yahoo.fr

## المخلص:

في هذا المقال حاولنا أن نتحدث عن التربية والسوسيولوجيا عند إيميل دوركايم ، كأهم أعلام الفكر الاجتماعي المعاصر ، حيث تعتبر التربية عنده من المقومات الأساسية لقيام أي مجتمع وتطوره ، لأنها في علاقة جدلية بين التنظير الفلسفي كنزعة فردية ، والواقع الاجتماعي ونظمه والممارسة العملية ، ليكون دوركايم من بين الأوائل الذين حاولوا إعطاء التربية صبغة اجتماعية ، لهذا قام بنقد الدراسات التربوية السابقة سواء كانت دينية أو فلسفية ، ولتوضيح هذا قمنا بضبط بعض المفاهيم والتصورات المفتاحية ، وبالتحديد التربية والسوسيولوجيا ، ثم تحدثنا عن مكانة التربية ضمن السوسيولوجيا الدوركايمية وفق نظرة إبستمولوجية ، لنجد بأن التربية عند دوركايم لها أصول وأهداف سوسيولوجية ، بحيث لا يعطي قيمة لما هو فردي إلا في إطار ما هو اجتماعي .  
الكلمات المفتاحية: السوسيولوجيا ، الفلسفة ، الإبستمولوجيا ، التربية .

## Résumé :

*Dans cet article, nous essayons d'étudier l'éducation et la sociologie chez Emil Durkheim en tant que l'un des pionniers de la pensée sociologique contemporaine. Pour Durkheim, l'éducation est considérée comme étant un principe de base dans la construction et l'évolution de n'importe quelle société car elle est en relation dialectique entre la théorisation philosophique entant qu'un conflit individuel et la réalité sociale et ses systèmes ainsi que les pratiques réelles. De ce fait, il est désormais l'un des premiers qui ont tenté d'attribuer à l'éducation une touche et un aspect social puisqu'il a critiqué les études précédentes de l'éducation que ce soit d'un point de vue de la religion ou de celui de la philosophie.*

*Afin d'éclairer cet aspect, nous précisons quelques notions et perceptions clés à savoir l'éducation et la sociologie, puis nous abordons la place de l'éducation dans la sociologie de Durkheim d'un point de vue épistémologique pour conclure à la fin que l'éducation chez Durkheim a des origines et des objectifs sociologiques puisqu'elle ne donne aucune valeur à ce qu'est individuel sauf dans un cadre sociologique.*

**Les mots clé :** la sociologie, la philosophie, l'épistémologie, l'éducation

## Abstract :

*In this article we have tried to talk about education and sociology at the Emile Durkheim as the most important flags of contemporary social thought, where education is considered him to be the pillars of the establishment of any society and its development, because it is in a dialectical relationship between philosophical speculation individual a tendency, social reality and regulations and practice, to be Durkheim among the first who tried to give education a social nature, that's the criticism of previous educational studies, whether they religious or philosophical, and to explain why we adjust some of the concepts and perceptions keyed specifically education, sociology, and then we talked about the status of education within sociology of Durkheim according look epistemological, because we find that education when Durkheim her assets and sociological goals so as not to give value to what is an individual, but in the context of what is social.*

**Key words:** sociology, education, epistemology, philosophy.

## مقدمة:

آلصت إليها ، مع الإشارة إلى أن الدراسة التي قدمها دوركام قد لاقت الكثير من النقد من طرف المعاصرين .

وهدي في إطار تخصص الإستيمولوجيا وتاريخ العلوم من هذه الدراسة هو الوقوف على تاريخ الفكر الإستيمولوجي عند علماء الاجتماع من أجل معرفة حقيقة التربية والسوسولوجيا ، لأن تاريخ العلم هو تاريخ تصحيح أخطائه كما يقول الفرنسي "آاستون باشلار" .

أولا. التربية والسوسولوجيا من حيث

## المفهوم والطبيعة

## أ. مفهوم التربية:

من الناحية اللغوية آاء في لسان العرب أن التربية من الفعل ربا ، وربما الشيء أي زاد ونما وأربيته أي نميته ، ومن رب ويرب أي أصلح ورعى ، ومنه فالتربية هي عملية النمو والزيادة والرعاية<sup>1</sup>.

أما اصطلاحا: فإن للتربية معان مختلفة باختلاف الأنساق المعرفية والمنطلقات الفكرية ، حيث نجد أنه من بين التعاريف الواردة ، أنها العملية التي عن طريقها تقوم بتنمية جوانب الشخصية الإنسانية في جميع مستوياتها<sup>2</sup>.

كما تعرف بأنها عملية تفاعل وتكيف بين الفرد والبيئة المحيطة ، بكل ما فيها من عناصر ما دية أو معنوية ، بهدف بناء شخصيته الإنسانية المتكاملة في كل جوانبها وبصورة متوازنة<sup>3</sup>.

والتربية قديما عند الفلاسفة عبارة عن علم وفن ، فهي علم في الأساس ، وفن في الأداء والوظيفة ، علم يهدف إلى تكوين الشخصية القوية ، وإلى إقامة علاقة جيدة بين هذه الشخصية والمجتمع الذي تنتمي إليه ، وفن يرمي إلى صقل الشخصية ، وبلورتها.

ومن بين التعاريف نجد تعريف أفلاطون: " أنها إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال وما يمكن من الكمال " ، والتربية بحكم طبيعتها تتجه إلى إجراءات عملية تنفيذية قائمة على أسس نظرية ، حيث أن المربي أشبه بمقاول بناء ، لأنه يبني بشرا ، وفيلسوف التربية هو المهندس الذي يرسم ويخطط لبناء على حاجة المجتمع ، و ما على المربي إلا الالتزام بهذا أ ، ذلك و ينفذ عن طريق العمل

تعد التربية من المقومات الأساسية للأمم التي تسعى للاستمرار والتطور والرقى ، وهي بحكم طبيعتها في غاية التعقيد بسبب علاقاتها غير المتناهية بغيرها من المنظومات الاجتماعية وعمق التداخلات بين عناصرها الرئيسية من معلم ومتعلم وبرامج منهجية وخبرات تربوية مقصودة أو عفوية. كما يثير موضوع التربية في الفكر المعاصر إشكالات نظرية وتطبيقية متعددة بعضها يرتبط بأسئلة المعرفة العلمية والتنظير الفلسفي في الحقل التربوي ، وخاصة في العصر الحديث ، وكثير منها يتصل بنوعية وأهداف الممارسة التربوية ، وقد كانت طبيعة العلاقة بين فلسفة التربية كإطار عقلائي والمجتمع كوسط تتجسد فيه هذه العقلانية ، إشكالية كبرى احتلت حيزا كبيرا من اهتمام الكثير من الباحثين وعلماء الاجتماع التربية ، بهدف وتحسين طبيعة الفرد والمجتمع وتوطيد العلاقة بينهما ، ومن بين المفكرين الذين كان لهم دورا هاما في هذا المجال الفرنسي إيميل دوركام الذي أحدث ثورة وتغيرا في طبيعة الفكر التربوي ، ناقلا إياه من المجال الفلسفي العقلائي النظري الفردي إلى المجال الواقعي السوسولوجي ، ومن خلال هذا نتساءل: ما حقيقة التربية والسوسولوجيا؟ وما هي المكانة التي تحتلها التربية في الفكر السوسولوجي عند دوركام؟

في محاولتنا الإجابة على هذه المشكلة تصورنا خطة من مبحثين ، اعتمادا على أهم مصدر يخدم الموضوع عند دوركام ، وهو التربية والمجتمع ، حيث بدأنا في المبحث الأول: بضبط تصورات ومفاهيم أساسية من أجل توضيح منحي الدراسة ، لأنه لا يمكن الحديث عن التربية والسوسولوجيا دون أن نعرف معنى كل منهما ، مع توضيح خصائص وموضوع علم الاجتماع وبالتحديد عند "إميل دوركام" .

أما في المبحث الثاني: فحاولنا فيه أن نلمس لب الموضوع ، وهو مكانة التربية ضمن السوسولوجيا عند دوركام ، حيث بدأنا بنظرته الإستيمولوجية للفكر التربوي القديم والأسس التي بني عليه من وجهة نظره ، وبعدها وضحنا حقيقة التربية والمكانة التي تحتلها في الدراسات الاجتماعية عنده ، وأخيرا خاتمة ، كعصارة للبحث تبين أهم النتائج التي



والمشاعر العامة لا يمكن للمجتمع أن يكونها من فراغ ، إلا إذا اعتمد على وسائل مهنهجة ، ومن بين هذه الوسائل التربية ، والتي أعطى لها دوركايم أهمية كبرى في دراساته السوسولوجية ، من هذا يمكن التساؤل: ما حقيقة التربية عند دوركايم؟ وما مكانتها ودورها في نظامه السوسولوجي؟

ثانيا. مكانة التربية ضمن السوسولوجيا عند

### دوركايم

إن أي دراسة جديدة لا مكن لها أن تؤسس من فراغ ، بل انطلاقا من وجود ركائز سابقة تقليدية كمنطلقات للتفكير ، وهذا ما نجده قائما على مستوى علم الاجتماع الدوركايمي ، وكذا المجال التربوي ، ومعنى ذلك أن تأسيسه لنظرة الاجتماعية في التربة كان على أساس إستيمولوجي ، ويظهر ذلك في موقفه النقدي من الأفكار والنظريات التربوية السابقة ، وهذا بين فيما يلي:

أ. إميل دوركايم والدراسة الإستيمولوجية للتربية

التقليدية: لقد كانت التربية عند الفلاسفة القدامى ذو طابع فلسفي يمتاز بالشمولية ، بحيث تشير إلى جملة التأثيرات التي تمارسها الطبيعة أو البشر في ملكاتنا العقلية وإرادتنا ، كما نجدها عند البعض أمثال الفيلسوف الانجليزي "جون ستيوارت مل" ، لها طابعا نفعيا أي أنها على حد تعبيره: " كل ما نفعله بأنفسنا ، وكل ما يحمله الآخرون من أجلنا ، بهدف الاقتراب من تحقيق كمالنا الخاص بطبيعتنا".

كما أن التربية عند "إيمانويل كانط" Emmanuel

Kant هدفها تحقيق صورة الكمال الممكن عند الفرد الإنساني ، أي تنمية القوى الداخلية في الإنسان ، بحيث أن الإنسان يصبح مثل الملاك ويتصرف وفق إرادته الخيرة ، بالإضافة إلى تنمية الملكات المعرفية في علاقاتها مع بعضها البعض ، من أجل الارتقاء بالإنسان إلى درجة الإنسانية والتجرد من النزعات الطبيعية الغريزية<sup>5</sup> . والمتصفح لها ورد في التأملات الكانطية حول التربية يكتشف أن اهتمام "كانط" بالمسائل التربوية كان اهتماما حقيقيا ، وقد عبر عن ذلك في الكثير من الفقرات ، حيث قال صراحة: " أن ثمة صراحة اكتشافان أنانيان يحق لنا أن نعتبرهما أصعب الاكتشافات ومهما فن سياسة البشر ، وفن تربيتهم ، ومع ذلك لازلنا نجادل في هذه الأفكار المطلقة"<sup>6</sup>.

3 الأشكال الاجتماعية: ومعناه أن دوركايم لم يغفل

الجانب المادي المورفولوجي للمجتمع ، لأن التصورات والنظم انعكاس للشكل الاجتماعي كحجم السكان وكثافته<sup>13</sup> . ومنه فالدراسة العلمية عند دوركايم تقوم على جملة من النظم الاجتماعية المتساندة وظيفيا ، والمتشكلة من مجموعة من البني والأنساق الفرعية كل يؤدي وظيفة معينة ، وأي خلل في أحدها يؤثر في استقرار وتوازن المجتمع.

ومن خلال ما سبق نجد أن دوركايم يقسم علم

الاجتماع إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

1. المورفولوجيا الاجتماعية: ويشكل الجانب المادي

الخارجي للمجتمع ، كالأرض والسكان والنظم الناتجة وعن تفاعل السكان مع البيئة الجغرافية والتنظيم الاجتماعي.

2. الفيزيولوجيا الاجتماعية: ويتكون من وظائف

النظم الاجتماعية المختلفة التي تدخل في تكوين واستمرار حياة المجتمع كالدين والأخلاق وغيرها ، ولهذا فهو يشتمل على العديد من العلوم الخاصة وذلك راجع إلى تعدد الظواهر الاجتماعية ، كعلم الاجتماع الديني ، علم الاجتماع القانوني...الخ.

3. علم الاجتماع العام: يهتم بدراسة الصفات المشتركة

التي تميز الظاهرة الاجتماعية والقوانين العامة التي تخضع لها ، ومناهج البحث المناسبة للكشف عن حقيقتها ، وهذا العلم هو الذي يربط بين المورفولوجيا الاجتماعية والفيزيولوجيا الاجتماعية ، ويضع الأسس الضرورية التي يجب إتباعها في دراسة كل ميدان اجتماعي<sup>14</sup>.

وقد تميزت الدراسات العلمية للظواهر الاجتماعية

بخصائص علمية ، باعتبار أنها خاضعة لمبدأ لحتمية ، فهي لست تابعة لشعور الفرد بقدر ما هي خارجية إجتماعية تفرض على الفرد ، وقد وضح طريقة دراسته في كتابه " قواعد لمنهج في علم الاجتماع هذه الطريقة العلمية ، حيث لخصها في قوله: " يجب أنتدرس الظاهر الاجتماعية كما لو كانت أشياء" ، وهذا فيه استبعاد للرؤية الفلسفية النظرية ، وتأكيد الطبيعة الحسية الخارجية للظاهر الاجتماعية القابلة للملاحظة والتجريب وتتصف بالموضوعية<sup>15</sup>.

كما أدخل فكرة الضمير الجمعي الذي هو جملة

المعتقدات والشاعر العامة ، والذي يعتبر الموجه العام في المجتمع ، لكن في حقيقة الأمر أن هذه التمثلات الاجتماعية

الظروف والأزمنة ، بحيث أن هذا النظام التربوي يفرض على الأفراد فرضا عبر قوة لا يمكن صدها ، حيث يقول دوركايم: " لكل مجتمع في الواقع ، وفي كل لحظة ما من مستويات تطوره نظاما تربويا ، يفرض نفسه على أفراد عبر قوة لا تقاوم"<sup>20</sup>.

**2. الإلزامية . الحتمية :** أي أنه لا مجال للحرية في التربية ، فالوالدين لا يمكن لهما أن يصنعا من أولادهم النماذج التي يريدونها ، لأن هناك ظروفًا خارجية اجتماعية توجه سلوكيات الأفراد كما تشاء ، أي هناك تطبيع اجتماعي ، ولو حاول أي فرد التصدي لهذه الظروف الاجتماعية ، فإن ذلك سينعكس سلبا على حياة أطفالنا ، لأنهم خرجوا على الشروط الطبيعية الاجتماعية ، وبالتالي عدم قدرتهم مستقبلا على التكيف مع أقرانهم الذين طبعوا على التربية الاجتماعية ، وفي هذا يقول دوركايم: " أنه في كل لحظة من الزمن يوجد نموذج منظم للتربية لا يمكن استبعاده دون مجابهات قوية ترتب عليها نتائج قاسية"<sup>21</sup>.

**3. الصفة الاجتماعية الواقعية:** إن التربية عند دوركايم لا تتحدد على مستوى الأفراد كما هو عند القدامى ، بل تتحدد على مستوى المجتمع من خلال الأفكار والعادات السائدة فيه ، فالفرد موجه بواسطة العادات والتقاليد التي لا يمكن له أن يغيرها بمحض إرادته ، إلا إذا قام بدراستها ومعرفة طبيعتها وشروط وجودها عن طريق الانصراف إلى التعلم و الملاحظة ، شأنه شأن الفيزيائي الذي يخضع ظواهره إلى الملاحظة ، وفي هذا يقول: " أن التربية هي نتاج للحياة المشتركة ، وتعبير عن الضرورات الأساسية للحياة الاجتماعية ومحصلة لنشاط الأجيال السابقة بالدرجة الأولى"<sup>22</sup> ، فمثلا عند دراسة تطور الأنظمة نلاحظ أنها قد ارتبطت بتطور الدين ، والأنظمة السياسية ، وكذا العلوم والصناعة... الخ ، وأن محاولة الإقرار بفصل هذه العوامل عن التربية يؤدي إلى صعوبة الإدراك والفهم .

**4. النظام التربوي واحد ومتعدد:** إن أي حقيقة تربوية لا يمكن الكشف عنها إلا من خلال الوقوف على تطورها التاريخي ، والعوامل الحتمية المتحركة في تطورها ، فباستقراءه نجد أن النظام التربوي الاجتماعي متعدد ، ويظهر ذلك: من خلال وجود اختلاف في طبيعة التربية في المجتمع الواحد ، ويرجع ذلك إلى اختلاف الثقافة وتباين الطبقات

لكن وجهة النظر "دوركايم" للتربية تختلف عما سبق ذكره ، بحيث لا يمكننا أن نجتمع في آن واحد بين عدة أشياء متناقضة ، كالقوانين ، والنظم ، وأشكال الحكم ، والمناخ... الخ ، وفي هذا يقول دوركايم: " أن تأثير الأشياء في الناس يختلف عن تأثير الناس في بعضهم البعض بدرجة كبيرة ،... كما يختلف عن تأثير الراشدين في الصغار"<sup>17</sup>.

كما أن النظرة الكانطية بالنسبة لدوركايم لا يمكن تحقيقها واقعا ، لأن الفرد ليس كائنا عقلانيا محضا ، بقدر ما له رغبات وأهداف يسعى إلى تحقيقها ، وأن الغاية القصوى للسلوك والتربية ليس تحقيق الكمال المطلق ، وفي هذا الصدد يقول دوركايم: "إذا كان تحقيق الكمال ضروري بصورة ما ، فإن ذلك غير ممكن على المستوى الواقعي ، إذ يتناقض ذلك مع قانون أخر للسلوك الإنساني... بل يجب تحقيق نوعا من التوازن بينها وبين الوسط المحيط بنا ، فنحن لا نعيش من أجل التفكير فقط..."<sup>18</sup>.

والجلي أنه ما دامت التربية التقليدية تركز على النزعة الفردية ، وتنطلق من مسلمة وجود تربية مثالية كاملة تناسب كل البشر دون تمييز بينهم أي إنسانية شمولية ، إلا أن هذا التعريف حسب "دوركايم" لا يعبر عن ماهية وحقيقة التربية ، لأن التربية عنده في حقيقتها نسبة متغيرة ، من مجتمع إلى آخر وداخل المجتمع الواحد عبر فترات زمنية مختلفة ، وفي هذا يقول: " عندما نستلهم التاريخ لا نجد ما يعزز مقومات وجود هذه الفرضية ، لأن التربية تتغير بتغير الزمان والمكان"<sup>19</sup> ، وكمثال على ذلك: أن هدف التربية الرومانية القديمة هو تحويل الأطفال إلى رجال وتنمية الحماسة في نفوسهم ، أما في العصر الحديث فأصبحت أدبية علمية بالدرجة الأولى.

لكن مادامت التصورات التقليدية للتربية ، قائمة على خصوصيات أساسية كالفردية ، الحرية ، المثالية والمطلقية ، وهي الخصوصيات التي رفضها دوركايم ، فما هي حقيقة التربية التي نادى بها؟

**ب . خصائص التربية وحقيقتها عند دوركايم:** إن حقيقة التربية عند دوركايم تتجلى في الخصائص التالية:

**1. النسبية:** يؤكد دوركايم أن لكل مجتمع نظامه التربوي الخاص ، الذي يختلف من مجتمع لآخر باختلاف

والخاص بالكفاءات المهنية، وفي حال تهديد المجتمع سياسياً تقوم التربية بتعزيز الروح القومية والوطنية.

وفي الأخير نجد أن التربية عند دوركايم وسيلة أساسية في خدمة المجتمع، لأنها تعمل على تهيئة الأفراد وفقاً للشروط الأساسية التي تكون في خدمة واستمرار المجتمع، و أي خروج على هذه الشروط يعد حالة مرضية، وفي هذا يعرفها بأنها: "هي الفعل التي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم ترشد بعد من أجل الحياة الاجتماعية، وهي تعمل على خلق مجموعة من الحالات الجسدية والعقلية والأخلاقية عند الطفل وتنميتها، وهي الحالات التي يتطلبها المجتمع بوصفه كلا متكاملًا والتي يقتضيها الوسط الاجتماعي الخاص الذي يعيشه الطفل"<sup>26</sup>.

وخلصنا لها سبق نجد بأن التربية عند دوركايم تتصف بعدة خصائص منها أنها واحدة ومتنوعة، وإلزامية، ونسبية متغيرة. زمكانية، وأهم خاصية تتميز بها هي: أنها اجتماعية وصدى لها هو اجتماعي، ومن هذا أعطى دوركايم للتربية أهمية ومكانة في ظل سوسولوجته، ومن هذا نتساءل: ما هي التجليات التي من خلالها أثبت دوركايم مكانة التربية في دراساته السوسولوجية؟

### ج . مكانة التربية في سوسولوجية دوركايم: إن

الحقيقة التي لا يمكن زعزعتها هو أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، وهذا راجع إلى طبيعته الإنسانية الناقصة، ومن يخرج على الدائرة الاجتماعية على حد تعبير "أرسطو"، إما أن يكون وحشاً أو إلهاً، إلا أن للإنسان خصائص ذاتية تميزه عن غيره، كالقدرات الذهنية والجسمية، وفي نفس الوقت جانباً اجتماعياً يتجلى في نسق الأفكار والمشاعر والمعتقدات والعادات التي يأخذها من جماعته، وهو ما يشكله ككائن اجتماعي. والتربية السوسولوجية لها عدة أهداف منها:

**1. الهدف الإبداعي:** يظهر في هيكلة وبناء كائناً اجتماعياً جديداً، وفق ما يستمد من سلطة لها طابع القدسية من المجتمع بحيث يشعر الفرد بخضوعه إليها مما يجعله فرداً قادراً على مواكبة الحياة الأخلاقية والاجتماعية للمجتمع، وبالتالي فالقدرات والكفاءات التي يمتلكها الفرد لا يمكنها أن تنتقل عبر العوامل الوراثية. حسب اعتقاد البعض تخلق لنا إنساناً جاهزاً وفطرياً، بل هي موكلة للتربية التي تقوم بتحويلها

الاجتماعية داخله بين عدة شرائح، فمثلاً تربية النبلاء ليست كالعامية وليست كتربية رجال الدين، وبهذا لا يمكن الإقرار بوجود تجانس مطلق بين الأفراد تبعاً للسجل الوراثي الذي وصفه دوركايم بالغامض، كما أن التنوع يظهر كلما ازداد المجتمع تطوراً بحيث تتجلى التخصصات، وفي المقابل التربية المتجانسة والواحدة تظهر في المجتمعات الأولى، حيث يقول: "من أجل العثور على تربية متجانسة عادلة على نحو كامل، يجب علينا أن نعود إلى مجتمعات ما قبل التاريخ، والتي لا يوجد فيها أي تجانس أو اختلاف"<sup>23</sup>.

لكن الحقيقة عند دوركايم أنه رغم التنوع الثقافي بين هذه الفئات داخل المجتمع الواحد، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود مبادئ مشتركة وواحدة ينطلقون منها، لأنه رغم الاختلاف إلا أنه يوجد دين مشترك للجميع أو عناصر ثقافية دينية واحدة من حيث الجوهر للجميع، وفي هذا يقول: "لا يوجد شعب دون نسق واحد من الأفكار والمشاعر والممارسات، تقوم التربية بتكريسها لدى الأطفال كافة دون تمييز يتعلق بتنوع الفئات الاجتماعية التي ينتمون إليها"<sup>24</sup>. أي أن وجود اختلاف في الطبقات والتربية التي يأخذونها، إلا أنه وراء التربية التي يأخذونها غاية عامة تظهر في تكريس الأفكار العامة المشتركة داخل الوعي. تشكيل أسس مشاعرنا القومية والوطنية.

وفي سياق ذي صلة فإن محور العملية التربوية هو تكوين صورة مثالية للإنسان، لا بالمفهوم الأفلاطوني، حيث تتصف بالوحدة والتنوع، وهذه المسؤولية تقع على عاتق المجتمع التي يحققها من خلال التربية، وأن استمرار المجتمع مرتبط بوجود حد أدنى من التجانس بين أفرادها الذي تعمل التربية على تعزيزه، حيث يقول: "وبالتالي فالتربية تعزز هذا التجانس وتكرسه، وتسعى قبل كل شيء إلى تكريس عناصر التشابه الأساسية في نفوس الأطفال، وهو التجانس الذي تقتضيه طبيعة الحياة الاجتماعية"<sup>25</sup>. ولكن رغم ذلك فالتنوع ضروري لحدوث التعاون، وعلى التربية أن تقوم بتعزيزه هو مثال ذلك: أن تقسيم العمل أدى إلى ظهور فروق فردية، ومهمة التربية في هذه الحالة هو تعزيز الأفكار والمشاعر المشتركة بين الأفراد. وتكرس في الوقت ذاته التنوع الموجود

إفساد الفرد أو إآاق الضرر به ، بل على العكس من ذلك تماما إنما يسعى إلى تحقيق نموه وازدهاره ورقبه الاجتماعي ، وان يجعل منه إنسانا آقا"<sup>28</sup>.

من هذا قام دوركام بنقد النظريات السابقة في المجال التربوي التي تؤكد أن مستقبل الإنسان محدد مسبقا من آلال العوامل الوراثية والاستعدادات الفطرية ، ولا يمكن على حد تعبيرهم أن تكون التربية قادرة على تدمير وتغيير تلك الاستعدادات ، ومن آهة أخرى لا يمكنها أن تنطلق من فراغ بل من ما هو موجود فطريا ، ولو اعترفنا فإنه لا يبقى للتربية مجال واحد تشتغل عليه .

لكن تلك الاستعدادات الأولية عدا الغريزة . نظام من الفاعليات المحددة التي تتكرر آليا وباستمرار دون تغيير . عند دوركام تمتاز بالمرونة والتموج لا الصلابة ، كما يسمح لها بالانتقال من آيل لآخر ، بحيث يمكن تشكيلها وصلقلها وتغييرها وتوضيحها في صيغ مختلفة حسب طبيعة المجتمع ، بعدما كانت غير متباينة ومتعينة عند ولادته ، وفي هذا يؤكد دوركام أن وظيفة التربية تكمن في إيجاد ذلك التباين وتعزيزه .

والآلي حسب دوركام أن للفعل التربوي تأثير على الأفراد حيث يشبهه بالتنويم المغناطيسي ، هذا الآير الذي يكون فيه المنوم في حالة سلبية يفقد فيها حرته وإرادته ، وأما المنوم . الطبيب فهو موجه ، أمر عن طريق طاقته الإآائية ويستعمل لهجة نافذة ترغم المنوم على الخضوع ، وهو نفس ما نجد عند المري والطفل ، فالطفل يكون في حالة سلبية ، لأن إرادته مشلولة ، فيكون على حد تعبير دوركام: " مهيء لعملية تقليد عفوية وشاملة"<sup>29</sup>، كما أن خضوع الطفل إلى المكانة التي يحتلها المعلمون بالنسبة لتلاميذهم الناتجة على تفوقهم العلمي .

### 3. الهدف التاريخي: يؤكد دوركام أن الأنظمة التربوية

رغم راهنتها وارتباطها بظروفها البيئية ، إلا أن لها ماضي تشكلت من آلاله ، لأن المدارس كنظم تربوية تعبر عن روح العصر ، لها جذورها التاريخية الزمكانية التي نشأت من آلالها ، أي أن لها قاعدة تنطلق منها حتى لو كانت مخالفة لها هو موجود في المجتمع الآديد ، لأن المستقبل لا يمكن أن ينشأ من فراغ ، وفي هذا يقول دوركام: "من آجل ندرآ

ونقلها عبر الأآيال ، ليتم اكتسابها بشكل لإرادي وعفوي ، تحت تأثير الظروف والمؤثرات الآرجية الاجتماعية ، ولكي يحدث ذلك يجب أن تكون القدرات من طبيعة آلاقية ، لأنها تقتضي من الفرد التضحية والحرمان ، ومنه فالهدف الأساسي كما يقول دوركام: "هو آلق كائن آديد هو الكائن الاجتماعي"<sup>27</sup>.

وهذه الآصية الإبداعية للتربية آاصة بالإنسان لا غيره ، لان التربية الآيوانية تسمى ترويض بحيث تنمي الغرائز ولا تعد لآياة آديدة ، وتتآلى من آلال تطوير القدرات الفردية ، والانتقال بالفرد من حدود الذاتية إلى الطابع الاجتماعي تحت تأثير المنافسة الاجتماعية .

### 2. الهدف الانفعالي و الفاعلي: بمعنى أنها مستآيبية

لظروف الآياة الاجتماعية وضرورتها ، حيث أن الثقافة لا تصح ضرورة إلا إذا أعلنها المجتمع وفرضها على أفرادها انطلاقا من الآاجة إليها ، وكان هذا الرأي لا يختلف عن ما هو موجود عند الفلاسفة البراغماتيين ، أمثال: آون ديوي ووليام آيمس ، لان المعرفة عندهم ذات طابع عملي نفعي ، حيث أن وضعية المجتمع هي التي تفرض عليه نمط معين من التربية ، فمثلا: لا آاجة للتفكير النقدي إذا كان المجتمع متجانسا وبسيطا ، كما أنه لا آاجة للتربية الآسدية مادام المجتمع يآرس في الوعي الآعي النزعة إلى التآشف .

ولهذا فطبيعة التربية الموجهة للأفراد يحددها المجتمع وفقا لآاجاته ، أي أنها إآراه ممارس من المجتمع على الأفراد ، لكن هذا الإآراه هو ميل وخضوع واستسلام من طرف الأفراد أنفسهم لضرورات اجتماعية ، ومن هذا الخضوع الاجتماعي يآتسب الفرد إنسانيته .

كما أن فاعلية التربية تظهر في كونها آحاول آلق انسآام بين الفرد والمجتمع ، بحيث لا تقف أبدا أمام عبقرية الفرد بل تسعى إلى تنميته اجتماعيا ، وإذا اصطدمت الواآبات الاجتماعية بعواطف الفرد ، فإنه كثيرا ما يتآاضى عن مشاعره ويخضع للمثل الاجتماعية العليا ، وأما إذا آرج عن قيم المجتمع فإنه يتعرض للعقاب ،<sup>8</sup> بحيث يقول دوركام: " إن هذين المفهومين . الفرد والمجتمع . يتداخلان ويرتبطان ، فالفرد الذي يريده المجتمع ، بحث عن ذاته ، والفعل الذي يمارسه المجتمع على الفرد عن طريق لتربية لا يهدف أبدا إلى

يحققه أي مجتمع. وهذا راجع لتمايزها واختلافها في طبيعة أطرها وظروفها، أي أن التربية تعبر عن وضع اجتماعي معين، حيث يقول دوركايم: "أن التربية تتغير بتغير الطبقات الاجتماعية"<sup>31</sup>.

ورغم أن التربية تأخذ بعين الاعتبار الكفاءات الفردية إلا أن ذلك لا يكون تبعاً لأهداف ذاتية خاصة بل من أجل المجتمع بهدف تحقيق إستمراره واحتياجاته، ومن مظاهر ذلك تقسيم العمل بين أفرادها عبر القنوتات التربوية، وبهذا فالتنوع الموجود في التربية يكون من أجل المجتمع وبواسطته، ومن هذا يقول دوركايم: "مهما تكن أهمية الأنماط التربوية الخاصة،... فإنها ليست كافية بذاتها، وهي أينما كانت فإنها لا تتباين إحداها عن الأخرى، وذلك لأنها لا تركز على أساس اجتماعي مشترك"<sup>32</sup>. ومنه فإن علم النفس لا يمكنه أن يلبي حاجيات المربي في تحقيق غاياته، مهما تطور وبلغ من نضج، لأن المهمة توكل إلى علم الاجتماع.

ويظهر الجانب الاجتماعي للتربية فيما يسمى بالتربية الاجتماعية المشتركة، حيث أن رغم وجود اختلاف في الطبقات الاجتماعية بين الأطفال، إلا أن هناك تربية اجتماعية مشتركة تمنح لهم دون تمييز بين الفئات، وهي التي تشكل حسب التربية الحقيقية، وكمثال على ذلك: أن هناك تربية مشتركة لجميع الرومانيين تتجلى في كل الأنظمة القائمة في المدن، رغم وجود طبقة من الأشراف والعامية، وأن التغير الموجود في التربية من نجمع لآخر يرجع إلى تغير حاجات الأفراد بسبب تغير الشروط الاجتماعية، إلا أنه يبقى محافظ على الروح الجمعية.

ومن هذا المنطلق يؤكد دوركايم: "يمكن لنموذجنا التربوي أن يجد تفسيراً له في ضوء البيئة الاجتماعية القائمة... فالمجتمع لم يحدد أنموذج الإنسان وفقاً للنموذج الذي يسعى المربي لتحقيقه فحسب، بل هو الذي يسعى المجتمع غلى بناء ذلك الأنموذج ويحققه وفقاً لاحتياجاته المتنامية"<sup>33</sup>، وبالتالي: فالإنسان الذي يجب على التربية أن تحققه هو الإنسان لا كما صنعتها لنا الطبيعة بل الإنسان على نحو ما يريده المجتمع أن يكون.

ومن خلال ما سبق نقول أن الأنموذج التربوي هو الذي يريد المجتمع أن يطبعه فينا، وهو الصورة التي تعكس

الاتجاه الحالي للتعليم. التربية الواقعية. يجب أن لا نتوقف عند حدود واقعه المعاصر، بل يجب أن نعود إلى المرحلة التي ولدت فيها هذه النزعة...<sup>30</sup>.

والحقيقة عند دوركايم أنه لا يمكن أن ندرك حقيقة التربية وأن نحقق أهدافها إذا لم ترتبط بالتعليم وتاريخه، ولا يمكن الفصل بينهما، حيث يقول: "أنه في كل مرحلة تاريخية كانت العقائد التربوية مرهونة بواقع التعليم، وهي في الوقت نفسه تعكسه من جهة وتوجهه من جهة أخرى، وبمعيار ما تمارس هذه العقائد من تأثير فعال فإنها تسهم في تحديد النظام التعليمي وتوجهاته، فالثقافة التربوية تركز على أساس تاريخي". ولهذا أن معرفة حقيقة تاريخ التربية والتعليم يساعد في تحديد الغايات التي تسعى إليها التربية في كل مرحلة تاريخية اجتماعية".

#### 4. الهدف السوسولوجي: إن إمبل دوركايم عندما

يتحدث عن التربية فإنه يتحدث عنها بوصفه عالم اجتماع، حيث يقول: "إنني أنظر إلى التربية في واقع الأمر بوصفها ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى، ولها ارتباط بالبيداغوجيا وعلم الاجتماع".

ومن خلال هذا وقف دوركايم موقف الناقد من علم النفس ليحدد الحدود التي يقف عندها هذا العلم، لأن الفكرة التي سادت عند بعض الفلاسفة أمثال: كانط، وسنسر،... وغيرهم، أن التربية هي نتاج لعلم النفس، حيث تنادي التربية عند هؤلاء بما يلي:

#### 1. الأحادية والنموذجية: بمعنى أنه لا توجد تعدد في

أنماط التربية، بل ما هو موجود هو تربية نموذجية واحدة تناسب جميع الأفراد دون استثناء رغم تمايزهم في ظروفهم الاجتماعية... الخ.

#### 1. الأسس القبلية: أي أن المربي عندهم ليس له ما

يضيفه للفرد في مرحلة من مراحل تكوينه مادامت القدرات فطرية قبلية، أما دوره فيقتصر على حماية هذه الخصائص الفطرية الفردية من الضعف والانحراف.

لكن من وجهة نظر دوركايم أن تلك الأسس السابقة غير مقبولة، لأن الواقع التاريخي يؤكد بأن هذا التصورات التربوية غير قابلة للتطبيق، والتاريخ يشهد بأن ذلك لم

وليس أمامنا سوى علم الاجتماع الذي يمكنه أن يضع في أيدينا المفاتيح المناسبة الخاصة بالإشكالية التربوية ، ويقدم لنا المعطيات الضرورية . الأفكار الموجهة ."<sup>37</sup>

من هذا نستخلص أن العلاقة بين التربية وعلم الاجتماع كالعلاقة بين الأثر والمؤثر بحيث أن التربية تنطلق من المجتمع وتسعى لتحقيق غايته ، فهما وجهان لعملة واحدة لا يمكن أن يفصل بينهما .

ومنه نخلص إلى أن دوركايم هو أول عالم اجتماع فرنسي تنبه بحس سوسولوجي نقدي كبير إلى طبيعة العلاقة بين التربية والنظام الاجتماعي ، ومن ثمة وصف الظاهرة التربوية بمثل ما وصف به الظاهرة السوسولوجية عموماً ، وأعتبرها واقعة اجتماعية مستقلة عن وعي الأفراد ، وبالتالي قابلة للدراسة العلمية الموضوعية ، بل يمكن القول أن المشروع السوسولوجي الدوركايمي في عمقه مشروع تربوي .

**خاتمة:** مما سبق نستخلص أن للتربية دور كبير في تطوير الفرد والمجتمع وتوطيد العلاقة بينهما بحيث أن الفرد يساهم في خدمة المجتمع واستمراره وحمايته ، وهذا لا يكون إلا إذا قامت التربية بالدور السوسولوجي الموكل إليها بعد عملية فهم جيد للفرد عموماً والمجتمع على وجه أخص ، وهنا يجب على المربي أن يعتمد على عالم الاجتماع ليرشده إلى الطريق القويم . وأن مهمة النظام التربوي هو خلق التجانس والتكامل عن طريق غرس التربية للقيم والمعايير الاجتماعية مما يخلق التضامن الاجتماعي .

كما أن المشروع الذي يريد أن يؤسسه إيميل دوركايم ، وهو تأسيس علم الاجتماع كعلم قائم بذاته يهدف إلى كشف القواعد التي تخضع لها التطورات المجتمعية ، فنجد لهذا الاهتمام صدق في أعماله: قواعد المنهج السوسولوجي ، والانتحار والتربية ، وكان يهدف من وراء دراساته إلى الابتعاد عن التصورات الفلسفية العقيمة من أجل تأسيس علماً موضوعياً ، بحيث يسلط الضوء عليه لحل مشاكل المجتمع عن طريق تحسين العلاقات بين الفرد والمجتمع ، ولهذا أولى عناية كبرى بالمشاكل التربوية ، إذ أن التربية تلعب دوراً أساسياً في اندماج الفرد والمجتمع ، وهذا ما يفسر لنا أن دوركايم قد كان واقعي مهتم بهموم مجتمعه وبمشاكله ،

الخصائص المتنوعة للمجتمع المعني . ومن هنا نؤكد أن علم الاجتماع وحده وليس علم النفس له علاقته بالبيداغوجيا . من يساعد المربين في تحقيق أهدافهم وبالتحديد عندما يربط تلك الغاية بالظروف الاجتماعية ، حيث يقول دوركايم: " يجب أن يتجاوز علم النفس التنافس مع علم الاجتماع ، وذلك لأن غايات التربية ذات طبيعة اجتماعية ، ولأن الوسائل المتوخاة لتحقيق ذلك يجب أن تكون ذات طابع اجتماعي "<sup>34</sup> .

بحيث لا توجد مؤسسة تربوية واحدة إلا وتحمل خصوصيات المجتمع ، كما أن إدراك ماهية المؤسسة التربوية هي مسؤولية علم الاجتماع ، باعتباره علم المؤسسات الاجتماعية ، الذي يعتمد على الدولة كهيئة سياسية مكاملة للأسرة في العملية التربوية ، حيث تعمل على وضع المدارس سواء كانت خاصة لتنمية القدرات المبدعة مع مراقبتها ، لأنه لا توجد مدرسة تستطيع أن تعلن لنفسها الحق في تبني تربية معادية للحياة الاجتماعية ، وبهذا فالدولة في خدمة الأطفال وتقوم بتسهيل العملية التربوية ومحاربة العنف بكل أشكاله ، حيث يقول دوركايم: "ومادامت التربية وظيفة اجتماعية فإن الدولة لا يمكن أن تكون غير معنية بها "<sup>35</sup> .

كما أن معرفة المجتمع يسهل علينا معرفة ما يحدث داخل المؤسسات التربوية ، ومنه فالمناهج التربوية التي تصاغ ليست مهمة علم النفس ، بقدر ما هي مسؤولية تتجلى في إطار الحياة الاجتماعية لا الفردية ، فمثلاً المناهج التي ظهر في عصر النهضة لم تكن من نتاج علم النفس ، بل كانت نتيجة للتغيرات العميقة التي شهدتها البيئة الاجتماعية الأوربية في تلك المرحلة ، حيث يقول: "إن للتربية خصوصية مشتركة واحدة في كل مكان تتمثل في أن الغايات التي تسعى إلى تحقيقها والوسائل التي توظفها مرهونتان إلى حد كبير بالضرورات الاجتماعية ، والتي تتمثل في أفكار ومشاعر جمعية "<sup>36</sup> .

ومن هذا فإن المادة الأساسية التي يشتغل عليها المربي هي المجتمع ، لأنه من خلاله يكتشف المبادئ الأساسية التي يجب أن تقوم عليها تربيته ، أما علم النفس فهو مجرد موجه للطرق الخاصة لتربية الطفل وتلقينه المبادئ الاجتماعية ، وبهذا على حد تعبير دوركايم: "ليست هناك ثقافة أكثر أهمية بالنسبة للمربي من الثقافة السوسولوجية ، ...

وخاصة الاضطرابات الاجتماعية المتولءة عن الطور التكنولوجي ولتصنيع.

ويعد دوركايم الأكثر تأثيرا ببرنامجه واتجاهه الإصلاحية الإنساني، حيث يحدد موقفه من لتربية على أنه شيء اجتماعي، تضع الطفل في وضع مباشر مع مجتمع محدد، ولهذا فهو يدعو إلى الاهتمام بالنظام والتخطيط التربوي ولكن في ضوء التخطيط الشامل للمجتمع.

ولكن رغم ذلك ما قدمه دوركايم مكن أعمال في المجال التربوي الاجتماعي إلا أن الدراسات التي قدما قد لاقت الكثير من الانتقادات من طرف المعاصرين، وبالتحديد في إنكاره لشخصية الفرد وجعله دمية في يد المجتمع يخضع لأرائه القسرية، كما أن هذه النظرة إلى التربية أو المرتبطة بما هو سوسولوجي ومكاني متغير في إنكار لوجود الأنبياء والرسول ولا العبقريات، وبهذا فهي نظرة مادية محضة، وهذا ما نجده في الدراسات الحدسانية الدينية التي أسسها الفرنسي "هنري برغسون" تبعا لنقد هذه الأنساق المغلقة والاجتماعية، وتأسيس للتربية والأخلاق المفتوحة القائمة على أساس فردي متغير، ويظهر ذلك في الكثير من كتبه وعلى رأسها كتاب التطور لخلق ومنبعا الأخلاق والدين.

## الهوامش:

1. عبد الرحمان النقيب ، وآلاح مراد: مقدمة في التربية وعلم النفس ، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم 1987 ، ص 37.
2. عبد الله وآعنين وآخرون: المدآل إلى التربية والتعليم ، ط 1 ، دار الشروق ، الأردن ، 1993 ، ص 14.
3. آوالدة ناصر أحمد ، وآي إسماعل: طرائق تدريس التربية الإسلامية وآساليبها وآطبيقاتها العلمية ، ط2ن دار آنين الأردن ، ص 33.
4. سعبد إسماعل علي: فلسفات تربوية معاصرة ، سلسلة عالم المعرفة ، 1995 ، ص 14.
5. برتراند راسل: التربية والنظام الاجتماعي ، ترجمة وآتحقيق: سمير عبدة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1978 ، ص 19.
6. سيد علي آشرف: آفاق آديدة في التعليم الإسلامي ، سلسلة التعليم الإسلامي ، شركة عكاظ ، للنشر وآلوزيع آدة ، 1993 ، ص 31.
7. محمد أحمد بيومي: أسس وموضوعات علم الاجتماع ، دار المعرفة للآامعية الإسآندرية ، 2000 ، ص 19.
8. المرآع نفسه ، ص 20.
9. عادل مآآار الهواري: أسس علم الاجتماع ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، 1983 ، ص 29.
10. علي محمود إسلام الفار: معآم علم الاجتماع ، ط 2 ، دار المعارف القاهرة ، 2000 ، ص ص 464.465.
11. أميل دوركام: قواعد المنهج في علم الاجتماع ، ت: محمود قاسم ، مراجعة: السيد مآآد بدوي ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، 1950 ، ص 65.
12. المصدر نفسه ، ص 81.
13. علي آوات: مبادئ علم الاجتماع ، ط 1 ، منشورات الآامعة المفتوحة طرابلس ، ليبيا ، 1990 ، ص ص 109.110.
14. مآآد أحمد بيومي: أسس وموضوعات علم الاجتماع ، المرآع السابق ، ص 136.
15. المرآع نفسه ص 156.
16. إيمانويل كانط: تأملات في التربية ، تعريب وآعليق: محمود بن آامعة ، ط 1 ، دار مآآد علي للنشر ، 2005 ، ص 18.
17. أميل دوركام: التربية والمآمع ، تك علي أسعد وطفة ، ط 5 ، دار معد للطباعة والنشر وآلوزيع ، دمشق ، 1996 ، ص 56.
18. المصدر نفسه ، ص 57.
19. نفسه ، ص 59.
20. نفسه ، ص 61.
21. نفسه ، ص 61.
22. نفسه ، ص 61.
23. نفسه ، ص 64.
24. نفسه ، ص 65.
25. نفسه ، ص 67.
26. نفسه ، ص 68.
27. نفسه ، ص 70.
28. نفسه ، ص 77.
29. نفسه ، ص 86.
30. نفسه ، ص 115.
31. نفسه ، ص 125.
32. نفسه ، ص 127.
33. نفسه ، ص 131.
34. نفسه ، ص 141.
35. نفسه ، ص 79.
36. نفسه ، ص 144.
37. نفسه ، ص 14.